الآراء الـــواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

الملف النووي الإيـــراني.. مصداقية العالم على المحك

مهدي الهاجات

رغم ان متطلبات تأمين الحياة العصرية ضمن تداعيات الانفجار السكاني وخاصةً في منطقة الشرق الأوسط والأقصى ، وقبل كل شيء بحاجة إلى تأمين مصادر هائلة للطاقة ، وهذا يُعطي أفضلية لبناء المحطات النووية التي تكون مصدرا عظيما وهائلا للطاقة ، إلا أني لا أحبذ بنائها وانتشارها في أي مكان من العالم ، وأفضل أن أستنير بضوء قنديل !!.

حيث أن هكذا محطات تكون بمثابة قنابل نووية موقوتة ، تُفجرها صواعق الأخطاء والسَهْو أو العَوارض ، وبانفجارها سَتتسبب بمحو سمات الحياة عن مساحات هائلة من هذه البسيطة ، وكوارث بيئية وبشرية تبقى توابعها ربما لقرون و قرون !!.

من خلال هذا العنوان أود أن أبين المعنى وبشكل عام للطاقة النووية ، فالطاقة النووية هي طاقة هائلة جداً تَنتج عن كسر الأواصر التي تجمع بناء الذرة ، وتتمثل هذه الطاقة بإشعاعات تُنتج درجات حرارة هائلة ، وبنفس الوقت تحوي هذه الإشعاعات توابع إشعاعية قد لا يشعر بها الكائن الحي لكن لها عوارض مُميتة ومُشوهة للتكوينات الحيَّة التي تَتعرض لها !، أي أنه حتى ضمن العمل الآمن للمُفاعلات المحمية والمغلقة ، تكون لها أخطار شديدة على الكائن الحيّ !، وفي حال انفجار مفاعل أو قنبلة نووية ضمن مجال مفتوح وغير مَحمي إضافةً إلى الدمار الشامل الذي سَتسببه ، سوف تنتشر أشكال مختلفة من هذه الإشعاعات وتبقى تُهدد الحياة لسنين طويلة ، والذي سيُتابع ما حدث بعد تفجيرات ناكازاكي وهوروشيما وحادثة شيرنوبل سَيَتيقن من هذا!!!.

إيـران ورغـم حـرب أل ٨ سنوات الطاحنة ضد العراق ، فقد تضاعف عدد سكانها وبلغ ما يزيد على ٧٥ مليون نسمة !، و يُبين هذا أن هذه الدولة التي دخلت ماراثون التطور والتنمية التقنية ، سيزداد عدد سكانها ربما بفترة أقل من ثلاثة عقود !، وهنا بات من الواجب المُلح عليها أن تُخطط لتأمين مصادر للطاقة تسد حاجَتها المتنامية بشكل كبير ، وكما أسلفت فأن بناء المفاعلات النووية سيساعدها في مساعيها ضمن هذا المجال ، إلا أن صبغتها السياسية والعقائدية وموقعها وحجم إمكانياتها في المنطقة والعالم بات يُقلق أغلب الدول الكبرى ، هذا ضمن حساباتهم المَصلحية ،، فقبل ما يزيد على سنتين بدأت حملات التعبئة الإعلامية ثم الإجرائية ضمن المحافل الدولية ضد إيران من خلال برنامجها النووي!، التي تدعي إيـران أنه للاستخدامات المدنية ، وبعض دول الغرب وعلى رأسهم أمريكا يَدَعوّن أنه لبناء سلاح نووي قد يُستخدم للتهديد وقلب موازين القوى وخاصةً في المنطقة ؟، ومن بعض أشكال التعبئة والتَحشيد ضد برنامج إيران النووي هو التصريحات التي يطلقها الساسة الأمريكيون المُتشددون حيث أنهم وربما من خيالهم ، يرسمون سيناريوهات ومفردات لأعمال إرهابية أو مُباغتات بضربات عسكرية قد تقوم بها إيران ضد أمريكا أو إسرائيل ، ومنهم من يَحث الإدارة الأمريكية على القيام بضربة عسكرية إستباقية ضد إيران وخاصةً ضد مُنشآتها النووية التي هي تحت الإنشاء، لقد لفتت انتباهي وأثارتني هذه التصريحات: هذه ترجمة لتصريح فرانك جفني المُبيّن منصبه أدناه ، ضمن مقابلة أجراها معه جم مايرس عن القناة الإعلامية الأمريكية ((Newsmax.TV في السادس عشر من شهر نيسان الماضي ،،

صرح رئيس خبراء الأمن القومي فرانك جافني ، أن إيران بات باستطاعتها امتلاك السلاح النووي في أي يوم من الآن ، كما حذر ،، من المتوقع أن النظام في إيران لا يَتردد في استخدامه .

وأضاف جافني وهو الرئيس والمؤسس لمركز المصالح الأمنية لأمريكا ، أن العقوبات التي سَتُفرض على إيـران ستفشل في النهاية ، عليه يجب إعطاء الأهمية المطلوبة وبجدية لإعداد ضربة عسكرية !!.

نلاحظ من الأسطر أعلاه أن السيد جفني بات مُتيقن من أن إيران تستطيع التسلح نووياً وفي نفس الوقت يحذر من أنها لن تتردد باستخدامه !!! ، ولو تابعنا تفاصيل هذا اللقاء لوجدنا أن السيد جافني بنى تَيَقّنه على هذه الحيثية وقال :

إيران تعمل بهذا المجال بجد منذ أكثر من ٢٠ سنة ، أن الذي لا يترك ذهني هو أن أمريكا تمكنت من اختـراع وصنع السلاح النـووي وتطوير كافة مستلزماته فقط خلال ٣ سنوات و استخدمته مرتين كسلاح عسكري حاسم !!، وكنا حينها لم نمتلك المعرفة العلمية الكافية لهذا المجال ولم تكن لدينا تقنيات الحاسب الآلي أو أي من التقنيات المتطورة كما هو الحال الآن في توفرها في أغلب أطراف العالم ، وأضاف جافني ، أن إيران وضمن هذه المُعطيات المساعدة ، كان لها ١٧ سنة إضافية للوصول إلى نقطة ما توصلت لها أمريكا في تلك الظروف ! ، وعليه أعتقد أنها ستحصل على هذا السلاح في أي يوم ، أو في أقصى حد ربما بعد شهر أو شهرين ، وسأستغرب كثيراً لو ستستغرق سنة لوصولها لهذا الهدف !.

أما عن حيثيته أن إيران لن تتردد في استخدام السلاح النووي ، فجاءت ضمن قوله : إن النظام الإيـرانيُ ملتزم بقناعة بعقيدته الروحية ومن أعلى أهدافه هي إعادة الأئمة اثنيّ عشر ، والمهدي المُنتظر وشخص المسيح ، ووفق قناعة هذا النظام الدينية ، فإن السبيل لتحقيق هذا ، يجب خلق حالة روحية تشبه معجزات الأنبياء ، وبرأيي أن من الحماقة تصور أن بإمكاننا إقناع هكذا نظام بعدم الاستمرار في هذا النهج حتى النهاية ، ولا أعرف ربما سيقتنعون بعد نشوب حرب نووية !.

من الواضح جداً أن حيَثيات السيد جفني ضعيفة وغير مُقنعة ولا تتلائم مع المنطق حيث أن التصريح بهذا الشكل وبثقة ، بحاجة إلى أدلة على أرض الواقع وليس حسابات أو استنتاجات !؟، فهي لا تحتوي أي من الدلائل الملموسة التي لا تُقنع حتى الإنسان البسيط ، وخاصةً لهكذا تصريحات خطيرة ومصيرية ، لكن الشيء الواضح ضمن أقواله هو التحريض لتسديد ضربة عسكرية لإيـران وهو أمر في غاية الخطورة على عموم العالم بشكل عام والمنطقة بشكل خاص وهذا ما حثني وربماً يحث غيري للكتابة !!.

ومن جانب آخر وفي هذا اللقاء أكد جفني على رأيه وانتقاده لمساعي الرئيس أوباما ، التي تتمثل في دعوته إتخاذ سُبل الضَغط على الحكومة الإيرانية من خلال تَشديد العقوبات أو طرح مبادرات بديلة ضمن إجـراءات ومفردات جهود ومَساعي إيران لامتلاك مفاعلات نووية ، ومنها دعوة إيران إلى عدم تطوير إمكانياتها في زياد نسبة تخصيب اليورانيوم لتصل إلى ٢٠٪ والتي قد تكون مُناسبة لصناعة السلاح النووي ، وحثها على مقايضة ما تُنتجه من يورانيوم ذات التخصيب الواطئ مع آخر عالي التخصيب مع دولة خارجية ، ولكن من الغريب أيضاً أن إيران قامت بهذا فعليا في ال١٧ من أيار الماضيً ، حيث أنها ستقايض ١٢٠٠كغم من اليورانيوم الواطئ التخصيب ب ١٢٠كغم من اليورانيوم المخصب بنسبة ٢٠ ٪ مع البرازيل ، لتتمكن من تَشغيل مؤسساتها البَحثية ، لكن أمريكا سارعت وبعد يوم من مبادرة إيران ، بطرح مشروع تشديد العقوبات على إيران وجذب روسيا والصين للتأييد والمشاركة في ترويج وتطبيق هذه العقوبات !!، حيث أن السيد جفني وضمن حديثه المذكور قد استبعد مشاركة هاتين الدولتين في هذه المساعي كون هاتين الدولتين لهما مَصالح مع إيران وكما وصفهما ، أنهما زبونتين وربما هناك مصالح إستراتيجية مع إيران في المنطقة !!.

وفي خضم هذا التيار من الأحداث الغير مُتناغمة تدخل الكثير من التَصريحات الرسمية وغير الرسمية في تَقييم الوضع وتحليل أبعاده ، وكما أسلفت أن الإدارة ألأمريكية ، ورغم دعوات أوباما المستمرة للحوار مع إيـران ، سارعت وقللت من أهمية المبادرة الإيرانية وحتى وصفتها بالمضللة والخدعة ، وقد جاء هذا ضمن تصريحات وزيرة خارجيتها هيلاري كلنتون !، حيث جاء ضمن حديثها مع الجانب الصيني، وصفها الإتفاق الثلاثي إيران ، تركيا ، البرازيل ، بأنه خُدعة من قبل إيران إ، أما اسرائيل فقد صرح رئيس وزرائها وقبل أسبوع من ما صرحت به كلنتون ومن جانبه كان وصفه يتطابق مع وصف هيلاري كلنتون !.

وبعد هذا السرد والطرح للمعلومات والمواقف التي تخلقت عنها صورة تحوي معالم عن جوانب السياسة الدولية التي تبتعد عن الشفافية وتقترب من الازدواجيـة !!، بقي لي أن أبـين ما المغزى والهدف من هذا الطرح الموصوف ، أي وبقدر المستطاع أن نضع النقاط على الحروف .

هذه المشكلة التي تتربع في قلب الشرق الأوسط ، بدأ يعلوا ويتسارع صَخَب إيقاعها مُنذ ما يُقارب النصف عقد ، ضمن أجواء حساسة وحرجة للغاية ، تُشارك وتتأثر في أتراحها كل دول المَنطقة تقريباً ، لكن أهم عناصر المشكلة هي ما تُثيره أمريكا من إتهامات ذات تأثير عملي ومباشر ، إضافةً إلى إدعـاءات وتحريض إسرائيل ، التي يُقابلها الشعارات النارية والأوصاف الإستفزازية التي تُطلقها إيران ضد الدولتين المذكورتين ، وكل هذا وأكثر خلق جواً حرجاً وخطيراً ساهم في خلق هذه الأتـراح !، وأطرافها هي أمريكا ، إسرائيل وإيـران هذه الأتـراح إن صح التعبير قد تُحول نتائجها عموم المنطقة إلى قنبلة إن انفجرت لا يُعرف مدى تداعياتها على المنطقة وعموم العالم !؟، وهذه الدول قد تتبادل الأدوار فيمن يكون الصاعق أو العبوات أو بدن القنبلة !!.

أمريكا كعهدها على الـدوام تُغازل إسرائيل أو تُناغيها كما تُناغي الأم طفلها ، وبنفس الوقت نُزمجرُ حيناً وتكشرعن أنيابها لإيران حيناً آخر!!، أما إسرائيل وإيران فهما على نقيضين ، إسرائيل تُخطط وتقوم بالكثير من الإجـراءات المؤذية لمن تشاطره العداء أو تنال كل ما هو في صالحها ضمن المجتمع الدولي أو حتى مَن يُعاديها ، لكن بهدوء ودون صخب إعلامي وبلا رفع وترويج شعارات رنانة ، لكن إيران على عكسها بالضبط تُثير حولها صخب الإعـلام المُضر من خلال رفع الشعارات النارية و الاجهار بمعاداة الطرفين المعنيين أي أمريكا وإسرائيل دون أي إنجـاز قد يصب في صالحها !!.

ورغم أن ما تم طرحه ضمن هذه الأسطر المتواضعة ما هو إلا صورة مختصرة جداً عن حالة خطيرة لها أبعاد مصيرية على استقرار وأمن عموم العالم وخاصةً المنطقة ، لكن المهم ما الذي يُمكن عمله لإبعاد الكارثة عن بلادنا والعالم ،، كارثة قد تُغير وجه البسيطة إلى الأبد ؟!!. وهذا السؤال يوجه إلى المعنيين بهذا ، وهم الصفوة من أهل السياسة في دول العالم وخاصة الدول الثلاث المعنية وكل دول المنطقة وأهمها أمريكا وإيـران ،، أمريكا التي تُتهم بازدواجية التعامل ، وخاصةً في كل ما يخص إسرائيل !! فإسرائيل لديها مفاعلات نووية لا تخضع لأي مراقبة وهناك معلومات مباشرة وغير مباشرة بأنها تمتلك السلاح النووي ، لكن ليس هناك أي تصريحات من الساسة الأمريكان حولها ولا أي مشاريع رسمية تطرحها الحكومة الأمريكية لمجلس الأمن لفرض عقوبات أو حتى مُسائلتها حول ما تملكه من أسلحة نووية أو عدم وضع مفاعلاتها تحت الرقابة الدولية أو حتى الإلتزام بالعمل بالمقاييس الدولية ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر أمريكا تَضع إيران تحت المجهر وتحث وتضغط على من تستطيع من دول العالم على محاصرة هذا البلد ، أي إيـران ، و بسبب مشروعها النـووي،، ومن المصادفة ، في صباح هذا اليوم ٨ حزيران ٢٠١٠ هناك محوران مهمان للأخبار ، أحدهما استقالة الصحفية الأمريكية المخضرمة (هيلين توماس) التي تترأس مراسلي الدائرة الإعلامية في البيت الأبيض ضمن فترات الرئاسة ل ١٠ رؤساء ، على أثر تصريحاتها التي لم تستهو إسرائيل وعليه تم نبذها من قبل البيت الأبيض ويظهر هذا ضمن تصريح روبرت غيتس المتحدث الرسمي باسم البيت الأبيض الذي وصف ما قالته هيلين [ان تصريحاتها مسيئة وكريهة ، ودعا لتوبيخها والخبر الآخر هو الذي جاء على لسان رئيس الـوزراء الروسي فلاديمير بوتن ، أنه تم التوصل عملياً إلى اتفاق حول إصدار قرار دولي لفرض عقوبات على إيران ، رغم تصريحات الرئيس الإيراني أن بلاده ستوقف كل المباحثات حول برنامجها النووي إذا ما تم إقرار أي عقوبات على بلاده ، وهذا قد يؤدي إلى قطع طريق الحوار لحل هذه المشكلة الخطيرة !!؟.

أن الحل العملي لهذه المعضلة هو التعامل بشفافية من قبل الجميع ،، لكن الأطر القبيحة للسياسة قد لا تحوي أي سمة لها ولا تُروج لالتزام بمبادئ الشفافية !، لكي أضع صور هذا العنوان ضمن إطار الشفافية ، سأظهر بعض ما أراه مطلوباً أن يُطبق من قبل الأطراف المعنية :

أمريكا ، يجب عليها الكف عن التعامل بازدواجية ، ويجب أن تعمل بوضوح وتبتعد عن العمل الغير مباشر، فهي الآن تُعد (super power) على عموم الأرض عليه لتعمل بشكل مباشر ودون لف أو دوران في أي ملف يخصها أو يخص أمن وسلامة العالم ، فهناك أمثلة كثيرة على أنها تتبنى سياسة ازدواجية التعامل ولها الكثير من الخطى السياسية ضمن آلية الانتهازية واللف والدوران ، أما عملياً أن أي متابع لأحوال العالم وخاصة ضمن مجال التقنية العسكرية الحديثة يدرك أن إيران وإن تمكنت من الحصول على سلاح نووي ولأسباب كثيرة من المستحيل عليها استخدامه ، وأمريكا حيث أنها وضعت حماية أمن وسلامة العالم والمنطقة على عاتقها ، فمن المنطقي أن تدعو الجميع للتخلي عن السلاح النووي وخاصة إسرائيل وليس إيـران فقط التي لم تتمكن من الحصول عليه لحد الآن حسب ما يتوارد ضمن الإعلام العالمي وبدل طرح قرارات لعقوبات عندما لا تكون هناك مبادرات تشجيعية .

أما إيران ، لا أرى أي جدوى من طرح الشعارات النارية والإجهار بالمعاداة لهذا وذاك وخاصةً لأمريكا ، أما ضمن الجانب العملي ورغم حقها المشروع بامتلاك التقنية النووية وإجراء البحوث وإمتلاك محطات الكهرونووية ، إلا أني أتمنى من إيران أن تبتعد عن نشر هذه التقنية الخطيرة على عموم المنطقة ، وأفضل أنها تُزيد من عملها وبحوثها حول تطوير ونشر الطاقة الخضراء ، مثل تحويل طاقة الرياح والشمس إلى طاقة كهربائية نظيفة ورخيصة وآمنة ، حيث أن أمريكا نفسها تعمل على هذا بجد وقد تم بالفعل إستخدام هذه التقنيات في العديد من ولاياتها وبنسبة جيدة .

رغم إطلاقي إلا أنه لم يكن في دلوي سوى القليل مما قد يُفيد ، أتمنى على جميع من يهمهم السلام والأمن أن يدلوا بدلائهم لعلنا جميعاً نخرج ما قد يُطفئ نار هذه المشكلة ويُخرب صواعق هذه القنبلة .

في محل خياطة أمريكي

نجوى عبد الله
أميركا

أخذتني مسؤولة تشغيل اللاجئين في ولايتي الى محل خياطة للعمل معهم، مهنة لا أعرف عنها شيئا كما لا أجيد مسك الابرة، لكن صاحبة العمل (ساندي) بابتسامتها الرقيقة وبثقتها العالية بعملها أكدت لي تعاونهم معي لاجتياز الاختبار. كنت على يقين أن وجودي معهم لساعة كاملة هو معجزة، لما يتطلبه العمل من مهارة فائقة وسرعة في التنفيذ مع دقة بضربات الابرة النحيفة. الساعات الاولى من الاختبار تخطت الساعة الرابعة عصرا، والابرة تتعثر بين أناملي مع ارتجاف القماش الثمين تحت يدي. عندما هممت بالخروج سألت (ساندي) هل بإمكاني المجيء يوم غد؟ فأجابت بكل رقة: إذا كنت تحبين العمل معنا فنحن مسرورون بذلك، لكن عليك أن تتفاعلي مع العمل أكثر وان لا تتكوري على القماش، استرخي بالعمل وسيمكنك الاجادة.

سمعت نصيحتها بكل ود مع يقيني ان استمراري بالعمل معهم لن يتعدى يوما اخرا واذا حدثت معجزة كونية ستكون المدة اسبوعا ثم أنهي خدماتي بكل تواضع واعتراف صريح من قبلي.

اليوم الثاني كان أهون بكثير من اليوم الأول، بمساعدة الخياطتين الآسيويتين الماهرتين اللتين كانتا طيبتين معي جدا وتحاولان مساعدتي لاجتياز الاختبار، وحصولي على فرصة عمل محترمة في امريكا. لقد كانت صورة وصوت أمي حاضرين معي وأنا أعالج القماش بالإبرة والخيط لكن لا فائدة فمقدرتي بسيطة جدا مقارنة بالعاملات رغم ذلك اتقنت البعض من الأساليب الدقيقة بمساعدة الخياطتان الماهرتان، وكانت ساندي وأختها لا تتوقفان عن ملاطفتي ومجاملتي رغبة منهما في التخفيف من حدة الخجل والإحراج التي تنتابني. انتهى اليوم الثاني بعد ان أمضيت ساعاته، لكن بعد ان وصلت البيت وانا اشعر بنوع من الرضى لحصولي على فرصة عمل او تعلمي مهنة حرفية، ومرت ساعة من راحة الغداء والشاي، حتى أتاني هاتف يخبرني عن عدم حاجة محل الخياطة لي لأن وقته الثمين ليس ملك للمتدربات من أمثالي. حزنت بعض الشيء لكن ما توقعته حصل بالتمام. ساندي غير مضطرة لفقدان وقتها الثمين في بيع الستائر الباهظة كي تضيعه في تدريب نساء،هي بحاجة إلى عاملات خياطة محترفات. لكن الشيء الذي أزعجني، كيف لساندي ان تكرر رغبتها ببقائي معهم في المحل اذا أحببت انا العمل معهم لحين مغادرتي المحل في اليوم الثاني، لكن بطريقة متحضرة تتبعها أمريكا في إبلاغ الموظفين بترك العمل معهم هو اتصالهم الهاتفي بعد بضع ساعات من العودة للمنزل ليتمكن المفصول من السيطرة على أعصابه وحزنه وهو بمنزله.

بعد هدوء العاصفة وعودة اشراقات الأمل والتفاؤل الى نفسي ونسياني امر محل الخياطة هو وأصحابه البشوشين، تسلمت ظرفا بريديا باسمي ومعه صك نقدي مصروف من قبل محل الخياطة عن عملي ليومين. السؤال والمقارنة مازالت تخيم في رأسي: ماذا لو حصل وكنت متدربة في محل خياطة عربي؟ هل كنت أحصل على أجرتي الكاملة ؟

الآن بمقدوري ان اصلح اثوابي وقطع المنزل اذا تعرضت الى تمزقات أو احتاجت الى بعض التعديلات، وذلك بأن أمسك الابرة وانا مبتسمة ومنشرحة كلما تذكرت تجربتي الاولى في محل خياطة أمريكي، وهذا يكفيني جوابا عن سؤالي حول أسلوب التعامل في بلداننا العربية.

ضـــــــرورة الـــديمـــقـــراطـيـــة

صبيح الحافظ

هنالك مفردات من اللغة السياسية غيبت تماماً عن القارئ العراقي منها على سبيل المثال مفردة (الديمقراطية) وذلك لفترة (٣٥) سنة فمن ولد العام ١٩٦٨ أصبح عمره في سنة ٢٠٠٣ خمس وثلاثين سنة لم يسمع او يقرأ شيئاً من هذه المفردات ولا يعرف مفاهيمها وأهدافها وأصولها لان النظام الدكتاتوري الشمولي السابق قد وضع قيوداً وثقافة صارمة على من يبحث فيها ، إضافة الى عدم وجود وسائل نشر من صحف ومجلات ودوريـات خارج الثقافة الإعلامية للنظام ، إضافة الى عدم وجود تقنية الصحون اللاقطة للفضائيات بل كانت تحت سيطرة النظام ، أما ما ينشر في الخارج من مجلات وصحف فلم يسمح لها بالدخول عدا تلك التي كان يمولها لمساندة نظامه فقط ، كان معظم المثقفين من مفكرين وكتاب يتجنبون الحديث عن تلك المفردات في الأماكن الخاصة كالمقاهي والنوادي او بعض المجالس الثقافية الأهلية لعقد الندوات والمحاضرات فهذه هي تحت مراقبة عيون وآذان مؤسساته المخابراتية والتجسسية ، فإذا ما اكتشف أن أحداً من هؤلاء المثقفين قد تطرق الى البحث بهذه المواضيع والعمل على أشاعتها بين الناس فان مصيره السجن أن لم يكن الإعدام.

في ٢٠٠٣/٤/٩ سقط النظام وسقطت معه مؤسساته الثقافية والإعلامية والسياسية فأختفت صحفه ومجلاته ودورياته ، وظهرت مجلات وصحف والتي أسسها الأحـرار من العراقيين الذين غيبهم ذلك النظام ودفعهم إلى الهجرة القسرية إلى خارج العراق ، وأخذت هذه الصحف الجديدة تنشر وبحـرية مطلقة بمختلف البحوث والمفاهيم وغيرها من الدراسات والتحليلات لتلك المفردات (الديمقراطية الليبرالية الفدرالية ... الخ) واتجهنا نحن القراء نحو هذه البحوث الجديدة والغور في أعماقها بهدف التبحر في معرفة أصولها وأهدافها وعلاقتها بالإنسان والحضارة والتقدم ، فأخذنا نفتش ونلاحق مصادر المعلومات التي تبحث في تلك المواضيع والمفاهيم وخاصة موضوع (الديمقراطية) فوجدنا ضالتنا فيما ينشره المثقفون في العديد من الصحف وبشكل مكثف حيث تأسست منظمات ورابطات تعنى بنشر وإشاعة الديمقراطية.

من حسن الصدف وقع في يدي كتاب يحمل عنوان (الديمقراطية) بـ(٤٥٠) صفحة ومؤلفة هو القاضي الفرنسي (الكسيس دوتوكفيل) يتضمن دراسة تحليلية للديمقراطية من حيث هي مبدأ ونظام عام في الحياة السياسية والاجتـماعية ، وهـي اول دراسة مستفيضة منتظمة نزيهة قام بدراستها المؤلـف للنـظام الديمـقـراطي في الولايات المتحدة الأميركية وقد صدر الكتاب لأول مرة سنة ١٨٣٥ وقد ترجم إلى الانكليزية والاسبانية والألمانية والايطـالـية والروسـية والمجرية والعربية وهذه الأخيرة قام بترجمتها الكاتب المصري أمين مرسي قنديل سنة ١٩٦٢.

سافر الكسيس دوتوكفيل وصديقه جستاف ديـومـون إلى أمريكا سنة ١٨٣١ وتجـولا في عدد من ولاياتها وزار دوتوكفيل وصديقه واطلعا على نظمهم الاجتماعية والسياسية والاقتـصـاديـة وعـزمـا عـلـى دراسـة الديمقراطية عملياً وعن كثب في أمريكا وقضيا فيها حوالي العشرة شهور.

يقـول دوتـوكـفـيل في مقـدمـة كتابه واصـفـاً الـديـمـقـراطـية في الـولايـات المتحدة الأميركية أنني لم أعجب من شيء من تلك الأشياء التي استرعت نظري في أميـركـا طـوال المـدة التي قضيتها فيها عجبي الشديد من تساوي أفراد الشعب في أحوالهم الاجتماعية ، فهذه الحقيقة الأساسية لها الأثر العظيم في مجرى شؤون المجتمع كله وان المساواة بين أفراد المجتمع تؤكد ان الحقائق الجزئية مستمدة كلها منها وقد تجلت لي الديمقراطية التي تسود المجتمعات الأميركية هي بتأثير من العناية الإلهية.

ويستمر دوتوكفيل بقوله: فليس من الضروري ان ينزل الله على أنبيائه ما يكشف لنا صراحة عن معالم مشيئته التي لاريب فيها ، فحسبنا أن نتأمل السنن الكونية العادية وندركها ونعرف نزعة الأحـداث المستمرة واتجاهها ، فأني لا اعرف مثلاً من غير حاجة بي الى وحي خاص ، أن الكواكب تتحرك في أفلاكها ، وهي أفلاك رسمتها لها يد الباري.

فلو أهـل عصرنا اقتنعوا بعد طول الملاحظة والتفكير السديد المخلص أن تطور المساواة الاجتماعية التدريجي السائر قدما ، أنما هو تاريخهم الماضي وتاريخهم في المستقبل كذلك لأضفى هـذا الكشف وحـده على هـذا التطور صفة مشيئة إلهية مقدسة ، ولاستبان لهـم أن أيـة محـاولـة لتعطيل سير الديمقراطية تعد في هذه الحالة معاندة لإرادة الله ، وعندئذ لا يكون أمام الأمم ألا أن تعمل ما استطاعت للاستفادة من حظها الاجتماعي الذي قسمته لها العناية الربانية.

فأول واجب من الواجبات المفروضة ألان على أولئك الذين يوجهون بالتربية والتعليم ، وان يوقظوا فيها معتقداتها الدينية من جديد ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً، وان يطهروا أخلاقها مما علق بها من شوائب ، وأن ينظموا حركاتها ، ويحلوا المعرفة بالعلوم السياسية محل عدم الخبرة والشعور بالمصلحة الحقيقية محل النزعات الفطرية العمياء وان يلاءموا بين حكومتها وبين الزمان والمكـان ويكيفوها بحسب الناس والأحوال ، فما اشد حاجاتنا إلى علوم سياسية جديدة ، تصلح لعالم جديد ، ومع ذلك فهذا اقل ما نفكر فيه ، ومع إنا وسط تيار سريع فانا نتعنت ونركز أنظارنا في بعض الأنقاض التي مازلنا نراها ملقاة على الشاطئ الذي غادرناه خوفاً من أن يحملنا التيار وبجرفنا إلى الوراء نحو الهاوية.